

ان بقاء الانسان كل مدة عمره سلبا من الامراض بريئا من العلل ليس مما تسمح به الطبيعة لكل الناس بل هو معدود من فلتاتها ونوادرها التي لا يجب ان يعتمد عليها الانسان او يتخذ الحالة فيها بغيره دليلاً عليه ولو كان يرى نفسه انه مثله من اكثر الوجوه . وذلك لان هذا الوجود مملوء بكل اسباب السقم وموجدات العلل كما انه لا تزال فيه حالات كثيرة يجدها الناس فهم لا يعرفون كيف تأتي ولا يندرون من اين تأتي . فان منها ما يأتي من جهة مقدار العمر والانسان لا يهتد به . ومنها ما يجيء من طريق صناعته وهي لا غنى له عنها . ومنها ما يرد من عند العادة وكيفية المعيشة ومكان السكنى . ومنها ما يكون من الغم والاشفاق وفرط المسرة وكل وجدانات النفس وشعائرها بحيث يتعذر على الانسان مع كثرة هذه المذكورات واحاطتها به على الدوام ان يكون متقياً لها مستفيداً من النجارب بها . ولهذا فكل من يطعم ان يعيش مسافة حياته خالياً من مرض ناجياً من علة فانما يمني نفسه بالباطل او يتوقع ان يكون في الدنيا من جملة الفلتات والنوادر . الا انه ليس كل الامراض مجهولة السبب ولا كلها مما يمد مرضاً حين وروده على الانسان بل ان الباحث لو حقق زراً ان ثلاثة الارباع من امراض الناس كلها انما تجيء من ادنى توقعك وتشتد حتى تصير مرضاً من اقل الاشياء وهو ما يرجع فيه كله الى اهمال الانسان لنفسه او الاعتداد بصدق القياس في حالته الى احوال سائر الناس بحيث انه لو امتنع هذا الاهمال او قل فانه

ندر ان تاتي احداً من العلة او شديد المرض بل يعيش الناس كلهم على الارجح سالمين معافين لا يموتون الا بما لا يدفع من الامراض او بما يكون مجهولاً منها ومشتبهاً امره على الاطباء او نفس العليل

ولقد وضعت احدى الصحف الافرنجية فصلاً بهذا المعنى ذكرت به ان نواميس الطبيعة لا تسمح لكل شئائها ونوازلها ان تأتي عظيمة حتى لا ترد ولا تمنع بل هي ترسلها في الشدة على تدريج منتسق بحيث تكون عدواً دالاً بنفسه على مكانه ومقدار قوته ونصيحاً يشير الى اشتداد الخطب قبل وقوعه اما العلل التي ترد على هذه الكيفية فكثيرة جداً وقد تكون كلها كذلك ولهذا لا يعيها كتاب ولا تحويها مقالة فضلاً عن ان منها ما تكون منذرة للمصاب بها قبل اشتدادها عليه بايام واسابيع ومنها ما تكون ناصحة قبل ان تقسو بسنوات عديدة . الا ان اشد حالات الطبيعة واكثرها ظهوراً هي التي تذكر الان من قبيل الدلالة على غيرها وكفاية الانذار بها عن سواها

ولقد كان من ادنى البراهين التي ذكرتها الجريدة على صحة هذا الشأن قولها ان الرجل المدني الذي لا ينظر الى السماء حين الشتاء ليرى اذا كانت وشيكة المطر او لا ثم تتطر وهو لا يكون مستعداً لانتقام مطرها فانه يكون معرضاً ذاته لاشد العلل خطراً ولا سيما حين يكون على حالته الاولى من عدم الاعتداد بالصغائر وعدم المبالاة بالعواقب التي تكبر من ادنى الظواهر ومما ذكرته لا يوضح ذلك ان العطاس وهو من اشد الحالات مصاحبة للانسان حتى لا يكاد يمر به يوم دون ان يمطس قد يكون نذيراً ببدء علة كبيرة ولكن الانسان مع ذلك يهمله دون ان ينتبه لمقدار المرات التي عطس بها ولهذا يصاب بالزكام وقد يشتد عليه حتى يلزمه ويصير معه مزمناً مع

انه لو تنبه الى كثرة عطاسه وعلم ان ذلك قد جاء عن سبب غير مألوف
لامكنه في الحال ان يتقي عواقبه التي اقل ما فيها مضايقة المصاب بها واعنائه
وعدا هذا فانه ليس اسباب الامراض هي التي تكون نذيراً بنفسها
عن نفسها بل ان الطبيعة ذاتها نذير مهم ايضاً فان الصيف نذير عن نفسه
بمعرفة ميعاده وتدرج الحرارة فيه والشتاء نذير باوقاته المعلومة وتغيرات الجو
فيه ولكن الناس مع ذلك قل ان يعتبروا بهذه النذر ويتقوها بالتدرج الذي
تأتي به بل هم كثيراً ما يخطئون في اتقاء كل حالة حين حدوثها وبما يجب
لها ولهذا تتألمهم الدال من ادنى الحالات وتكون الطبيعة بريئة بانذارها من
كل ما اصابوا به وهم يكونون الملمومين

وللعامل الواردة من عند الانسان مشابهة كبيرة بالعامل الواردة من عند
الطبيعة وهي منذرة ايضاً انذار تلك فان الصاع لا يأتي الانسان دفعة واحدة
فيكون مما يتعذر دفعه بل هو يأتي بتدرج بطيء جداً فاذا كان المرء يتنبه
دائماً لشعره ثم يراه قد بدأ يتساقط فان ذلك يكون نذير الصاع وهو ما
يمكن تلافيه في بدء امره ولكن كثيرين لا يعبأون بذيئة يرونها كذلك في اول
ورودها فتراهم لا يمتضي عليهم الحين الطويل اذ القصير الا ورو وسهم جرداء
مرداء لا يمكن رد كسائها اليها وهذا اذا لم يكن منه خطر يتعمل بسائر الجسم
فلقد يكتفي بالتشوه خطراً

ثم ان حالات الانسان اذا لم تكن هي نذيرة من نفسها بنفسها
فهي تكون نذيرة عن حالة مؤدية لسواها فان التثاؤب وهو على
ما فيه من ظاهر الدلالة على انه صادر عن تعب ونعاس فان كثيرين
يؤالي تثاؤبهم وهم غير متنبهين لهذه الدلالة بل يتأدون في سهرهم وتعبهم

حتى بوذي التماذي في ذلك الى اكثر من اذى السهر والتعب ثم ان كثيرين
لا يتنبهون لدلالة التثاؤب التي تشير الى غير الاذى الذي يحدث منه نفسه
فان الانسان يشد تثاؤبه ولا يكون شاعراً بشيء من التعب والسهر
ولكن ذلك يكون من احتباس الهواء النقي عنه فانه حين يمتنع نقاء الهواء
ويقل الاوكسيجين فيه تتضايق الرئة وبضعف سير الدم في الجسم فيتثاؤب
الانسان عن طبع ليستأنف حركة دمه ويكون تثاؤبه نذيراً له بان المكان
فاسد الهواء يجب الانتقال منه او فتح نوافذه

هذا شيء يسير جداً من نذر الطبيعة وتنبهاتها للانسان ارادة حفظ
سلامته او اتصال عاقبته ولكن على زهادته مما يجب ان يعتبر دليلاً صادقاً
على كل ما يصاب به الانسان من الامراض القتالة لانه لو تتبع المرء كل
ما يصيبه من عوادي السقم المبيدة ومجاري المرض المهلكة لوجد ان اصلها
ثغرة صغيرة لم يكن الاهمال ليتكاف سدها فاتسعت واتصل مجراها الى كل
جهات الجسد يصب بها سمومه وينبي فيها منازل

وعلى هذا فانه يجدر بالانسان اذ قد بدت دونه مذاهب البقاء الطويل
وبعدت عليه مسافة السعادة من مال او نحوه ان يجعل نفسه سعيداً على
الاقل باه وال الطبيعة التي استودعتها نفسه كنذير لدفع الملمات ومبشر باتصال
السلامة وسعادة البقاء وان في هذه الحالات البسيطة التي نقنناها لاحسن
عبرة يتلقاها المعبر بل كفانا عبرة بالقول الشائع المأثور وهو ان اول
الغيث قطر ثم ينهمر

